



أكثر من بلفور

"فليسقط وعد بلفور" هتاف لم تعد تسمعه الاجيال العربية التي لا تزال تعاني آثار فعلة الوزير البريطاني. لكن المخضرمين الذين عايشوا مرحلة الغليان القومي في الخمسينات، يذكرون انه كان من الشعارات الاكثر تردداً في تظاهرات الاحتجاج ضد الاستعمار، وطبعاً في التظاهرات السنوية التي كانت تقام خصيصاً في ذكرى هذا الوعد يوم ٢ تشرين الثاني. حتى ان الهتاف صار جزءاً من موسيقى الشارع. ويروي احد الشهود انه سمع مرة متظاهراً التيس عليه المعنى فاكتفى باللحن وبدل ان يسقط بلفور ووعدده راح يصرخ "فليسقط واحد من فوق". الشاهد الذي نقل هذه النادرة مغرض بالتأكيد، ولعله كان من المعادين سراً لحركة التحرر العربية. لكن فقدان المعنى الذي يشير اليه ليس فقط وليد النيات السيئة للسامع.

ويبدو في اي حال ان وعد بلفور محكوم بالتباس المعنى، كما ظهر من التوقعات التي حرّكتها زيارة رئيس الوزراء البريطاني طوني بليير الى الشرق الاوسط، والتي ربما اراد هو نفسه ان يحرّكها باختياره مثل هذا التوقيت. رئيس وزراء بريطانيا يزور فلسطين عشية الذكرى السنوية لوعد بلفور، فكيف لا يسود الامل بان يخرج شيء ما من هذا التزامن فيزيل بعض مفاعيل الحدث الذي ما انفك الفلسطينيون والعرب يستذكرونه منذ اربع وثمانين عاماً؟

لكن الرمز يبدو اقوى من ان يضاهيه اي كلام في السياسة. شيء واحد كان يمكن ان يتفوق على رمزية الذكرى، لكنه غير وارد في هذه اللحظة: ان يعتذر رئيس حكومة جلالة الملكة عن اعلان وزير الخارجية في حكومة سلفه لويد جورج، او ان يعترف على الاقل بالكارثة التي سببها. الاعتذار ليس مستحيلاً، وربما يأتي يومٌ تبادر اليه بريطانيا، بعد قيام الدولة الفلسطينية، وقد يكون ضرورياً ان يطالب به الفلسطينيون باستمرار. الا ان الاعتذار، بما يعنيه من دك لمشروعية دولة اسرائيل، لم يكن يتوافق مع الاولوية التي يسعى اليها بليير، وهي تليين موقف آرييل شارون وصولاً الى تسوية تحمي ظهر التحالف الاميركي - البريطاني ضد الارهاب. وفي ما عدا ذلك، لم يكن الزائر قادراً بالتأكيد على تقديم "وعد بليير"، كما سارع البعض الى تسميته.

اولاً لان بريطانيا طوني بليير ليست بريطانيا لويد جورج. وحتى لو كان بليير القائد العملاقي الفعلي للتحالف، فان الوعد لا يكتسب قيمة الا اذا جاء من القائد الاسمي، اي جورج بوش. ثم ان موقف الدبلوماسية البريطانية المتناغم مع المواقف الاوروبية الاخرى، يقر بضرورة اقامة دولة فلسطينية منذ اعوام، ولم يكن تصريح بليير نفسه قبل اسابيع سوى توكيد لما اضحى من الثوابت الاتحادية في اوروبا. والا هم من ذلك ان "الوعد" سبق بليير الى فلسطين، وجاء على لسان جورج بوش شخصياً. فاذا كان المطلوب فقط البحث عن مرادف لوعد اطلقته في حينها القوة العالمية الاولى بالمساعدة على اقامة "وطن قومي يهودي"، فان اعتراف زعيم القوة العظمى الوحيدة في العالم راهناً بان قيام دولة فلسطينية جزء من رؤية بلاده يفترض ان يلبي الحاجة، هذا ان لم يكن "الوعد" جاء قبل ذلك على لسان بيل كلينتون. لكن المطلوب غير ذلك. فالوعد لا يكفي. وحتى نبقى في مجال التشبيهات التاريخية، فان ما يحتاج اليه الفلسطينيون هو اكثر من وعد بلفور. انه ما يوازي في الوقت نفسه وعد بلفور وصك الانتداب الذي ألحق به نص الوعد وقرار التقسيم واعتراف ترومان بالدولة



المقامة. بتعبير اكثر وضوحاً، المطلوب من بلير وعبره من بوش لم يعد مجرد اعلان، مهما يكن رمزياً، بل قرار وآلية واولوية. ليس بلير من يستطيع ان يفرض الآلية او ان يعلن القرار. ما يمكنه ان يفعله هو ان يستحصل عليهما من بوش. ولعله كان استشعر اكثر بالاولوية المطلوبة لو رأى عند محاوريه العرب الالاح نفسه قبل ان يصل الى فلسطين. لكن بعضهم لا يزال يفضل، على ما يبدو، ان يُطرب الزائر بتنويعة جديدة على وزن "فليسقط واحد من فوق".

سمير قصير



Id-Reference	01-Pr-000478	
Media	(Support)	HC
Title		أكثر من بلفور
Subtitle		
Section		
Language		عربي
Source		النهار
Page		
Date		٢٠٠١/١١/٢ 2/11/2001
Author		سمير قصير
Co-Author		
Keywords		
	Persons	طوني.بلير - لويد.جورج - بيل.كلينتون - أرييل.شارون - جورج.بوش
	Locations	فلسطين - بريطانيا
	Dates	
	Themes	فلسطين - إسرائيل - بريطانيا - طوني.بلير - أرييل.شارون - وعد.بلفور - حركة.تحرر.عربية - تحالف.أميركي.بريطاني.ضد.ارهاب - دولة.فلسطينية - استعمار - شرق.أوسط - ديبلوماسية.بريطانية - جورج.بوش - انتداب.بريطاني - عرب
Subject		